أصول السعادة في ضوء سورة الشرح

إعداد

د. نوّاف الحارثي

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥- ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤- ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا- كوالالمبور

المقدمة

الحمد لله الذي جعل من آثار الإيمان السعادة والحبور، ووعد من تمسك بتعاليم الإسلام الراحة والسرور، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدا شرح الله صدره بنور القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن السعادة مطلب كل إنسان، ورغبة كل عاقل، فما من عاقل إلا وهو يبحث عن السعادة، وللسعادة أسس وأصول متى ما سلكها الإنسان بلغها.

وإن القرآن الكريم هو مصدر السعادة الحقيقي بما فيه من الآيات الكريمة، والهدايات العظيمة (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [الإسراء: ٩] ولقد استنبط أَهل العلم من سورة الشَّرْح أُصُولًا للسَّعادة، أردت أن أُبينها وأسعى إلى إبرازها في هذا البحث؛ ليستفيد منها من يبحث عن السعادة ؛ ويسعى لتحققها في نفسه ومجتمعه، وهذه الأصول ستكون مادة هذا البحث، وعنونته بـ(أصول السعادة في ضوء سورة الشرح). نسأل الله أن يشرح صدورنا وييسر أمورنا ويحقق لنا سعادة الدنيا والآخرة.

أسباب اختيار الموضوع وأهدافه :

١- ربط الناس بالقرآن الكريم من خلال بيان هداياته وأثرها على الحياة.

٢- بيان أصول السعادة في ضوء السورة المباركة.

٣- ذكر أقوال المفسرين في تفسير السورة وذكر هداياتها.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وجاء على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: بين يدىْ سورة الشرح، وفيه مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة.

المطلب الثاني: دلالة الاسم على المضمون.

المطلب الثالث: مكان نزول السورة، وعدد آياتها.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما بعدها.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

المبحث الثاني: أصول السعادة في ضوء السورة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: السعادة من الله.

المطلب الثاني: السعادة تكون في القلب.

المطلب الثالث: مغفرة الذنوب.

المطلب الرابع: رفع الذكر الحسن.

المطلب الخامس: اليسر يخلق مع العسر.

المطلب السادس: كل عسر معه يسران.

المطلب السابع: استثمار الفراغ.

المطلب الثامن: العبادة(١).

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وسيكون منهجي في البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي، حيث سأذكر التفسير الإجمالي للآية، ثم أعقب بذلك ما تيسر من لطائف وهدايات في الآية مما ظهر في الآية، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا مُحَمَّد.

المبحث الأول: بين يدىْ سورة الشرح، وفيه مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة.

تسمى هذه السورة بسورة (الشرح) في المصحف ،وفي بعض التفاسير(٢)، وسماها البعض (سورة ألم نشرح)(٣)،وهي كذلك في معظم التفاسير(٤)، وسميت في بعض التفاسير (سورة الانشراح)(٥). وذكر البعض أنها تسمى (اليسر)(٦).

المطلب الثاني: دلالة الاسم على المضمون.

تظهر دلالة الاسم على المضمون واضحة جلية فسميت (الشرح) تسمية بمصدر الفعل الواقع فيها من قوله تعالى: (ألم نشرح لك صدرك)(٧)، وكل ما جاء فيها من منن من وضع الوزر ورفع الذكر، والأمر بالعبادة فهو مما يحقق انشراح الصدر ويعين عليه، يقول ابن عاشور: (احتوت على ذكر عناية الله تعالى لرسوله ﷺ بلطف الله له، وإزالة الغم والحرج عنه، وتفسير ما عسر عليه،

---

(١) هذه الأصول استفدتها من مقال الدكتور عبدالمحسن المطيري على موقع الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: القرآن الكريم: ٥٩٦ ، معاني القرآن للزجاج ٣٤١/٥ ، معالم التنزيل ٨/ ٤٣٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٦/ ١٧٢ ، وسنن الترمذي ٤٤٢/٥ ، التسهيل لابن جزي ١٧٢٧/٤.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٥ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٢٩ ، والتسهيل لابن جزي ١٧٢٧/٤.

(٥) انظر: البحر المحيط ٤٨٣/٨ ، زاد المسير: ١٥٦٤.

(٦) انظر: وردت في مصحف قديم نسخ (٣٩١هـ): بواسطة: أسماء سور القرآن: ٢١٤.

(٧) انظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٧.

وتشريف قدره لينفس عنه، فمضمونها شبيه بأنه حجة على مضمون سورة الضحى تثبيتا له بتذكيره سالف عنايته به، وإنارة سبيل الحق، وترفيع الدرجة؛ ليعلم أن الذي ابتدأه بنعمته ما كان ليقطع عنه فضله، وكان ذلك بطريقة التقرير بماض يعمله النبيء ﷺ)(١). فهي تركز على تمام منة الله تعالى على نبيه ﷺ بزوال الغم والحرج والعسر عنه، وما يوجب ذلك(٢).

المطلب الثالث: مكان نزول السورة، وعدد آياتها.

السورة مكية بالاتفاق(٣). وعدد آياتها ثمان آيات باتفاق(٤).

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها.

من يتأمل سورة الضحى وما فيها من تعداد لنعم الله على رسوله ﷺ وختمها بقوله (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى: ١١] وكأن قائل يقول: وهل من منن أخرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما ذكر في سورة الضحى يتحدث بها رسول الله ﷺ ، فيكون الجواب: ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك ورفعنا لك ذكرك إنها نعم ومنن عظيمة على النبي ﷺ ؛ يقول البقاعي: (ولما أمره ﷺ آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه، فصلها في هذه السورة فقال مثبتاً لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من ينكرها، والتقرير بها مقدماً المنة بالشرح في صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولاً، لافتاً القول إلى مظهر العظمة تعظيماً للشرح...)(٥).

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما بعدها.

قال ابن الزبير الغرناطي: (هذه سورة موضحة ومتممة للمقصود في السورتين قبلها...فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه ﷺ وخصه به من ضروب الكرامات وابتدأه به من عظيم الآلاء مما تضمنت السورتان إلى ما منحه من خير الدارين، وما تضمن قسمه سبحانه أنه ما ودعه ولا قلاه من الملاطفة والتأني ودلائل الحب والتقريب كل ذلك فضل منه تعالى وإحسان لا لعمل تقدم يستوجب ذلك أو بعضه، ولو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته وتوفيقه وإرادته ولا يستوجب أحد عليه شيئاً وإنما هو فضله

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٠٧.

(٢) انظر: المختصر في التفسير: ٥٩٦.

(٣) انظر: التبيان في معرفة تنزيل القرآن: ٤١٠ ، المحرر الوجيز ١٥/ ٤٩٤ ، زاد المسير: ١٥٦٤.

(٤) انظر: البيان في عد آي القرآن ٢٧٨ ، جمال القراء ٢/٢٢٧.

(٥) نظم الدرر ٢٢/١١٥.

يؤتيه من يشاء، فقال سبحانه منبها على ما وقع الإيماء إلى بعضه (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [التين: ٤]...)(١).

قلت: يظهر في سورة التين الإشارة إلى نبوة النبي ﷺ في قوله (وهذا البلد الأمين) [التين: ٣] وهي منة ونعمة من الله على رسوله ﷺ، ففي السورة بيان زيادة منن ونعم على النبي عليه السلام.

المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها.

بدأت السورة بتعداد النعم على النبي ﷺ بشرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره... ثم ختمت بالأمر بالعبادة والرغبة فيما عند الله تعالى، فكانت هذه العبادة والرغبة شكرا لله على ما أنعم به من نعم سابقة سابغة تستحق الشكر من الله بكثرة العبادة والرغبة فيما عند الله بصدق اللجوء إليه فهو وحده من يملك شرح الصدر ووضع الذنوب ورفع الذكر.

المبحث الثاني: أصول السعادة.

المطلب الأول: السعادة من الله.

يقول تعالى -ممتنًا على رسوله-: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} أي: نوسعه لشرائع الدين والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا(٢).

"وزيادة الجار والمجرور- لك- مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا له"(٣).

وفي قوله (لك) في قوله (ألم نشرح لك صدرك) مع أن المعنى مستقل دون ذلك، دلّ على الاعتناء به ﷺ والاهتمام بأمره(٤).

ولما عين المشروح له، فكان المشروح مبهما، فزاد تشوف النفس إليه ليكون أضخم له، بينه ليكون بيانا بعد إبهام، فيكون أعظم من التنويه به، وأجل في التعريف بأمره، فقال: (صدرك) فانفسح جدا حتى وسع مناجاة الحق، ودعوة الخلق(١).

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن: ٣٧٠.

(٢) تفسير ابن سعدي: ٩٢٩.

(٣) إرشاد العقل السليم ٦/٥٥٤.

(٤) انظر: التسهيل لابن جزي ٤/١٧٢٨.

ومما يدل على أن السعادة من الله ما بدأت به السورة بالاستفهام التقريري المتضمن تقرير أن الله شرح صدر نبيه ﷺ فيكون المعنى: أما شرحنا لك صدرك، فنورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً، فتقرر أن الله قد شرح صدر نبيه عليه السلام، فظهر ذلك جليا واضحا بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب بغير بلى(٢).

قال ابن عاشور: (وجماع القول في ذلك أن تجليات هذا الشرح عديدة وأنها سر بين الله تعالى وبين رسوله ﷺ المخاطب بهذه الآية)(٣).

قلت: لقد بين الله تعالى في آيات أخرى أن شرح الصدر إنما هو منه سبحانه وتعالى، وهو سبب للسعادة الحقيقة، فقال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) [الأنعام: ١٢٥]، فقد بين الله تعالى لعباده علامة سعادة العبد وهدايته –وعلامة شقاوته وضلاله – أن من انشرح صدره للإسلام، أي اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه وأحب الخير وطوعت له نفسه فعله، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه ومن عليه بالتوفيق(٤).

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فيما طلبه من ربه (قال رب اشرح لي صدري) [طه: ٢٥]، أي: وسعه وأفسحه لأتحمل الأذى القولي والفعلي(٥).

قلت: وفي هذا دليل على أن انشراح الصدر الذي هو مصدر للسعادة إنما هو من الله تعالى حيث طلب ذلك موسى من ربه ولم يطلبه من أحد سواه.

وقال تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) [الزمر: ٢٢]. فلما بين الدلائل الدالة على وجوب الإقبال على طاعة الله ووجوب الإعراض عن الدنيا وذلك أن الانتفاع بهذه البيانات لا تكمل إلا إذا شُرِحَ الصدر ونُوِّر القلب(٦).

ومما سبق يتبين لنا أنَّ السَّعادةَ بيدِ اللهِ وحدَه تعالى، وذلك في قولِه جَلَّ ثناؤُه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، فهو – جَلَّ وعَزَّ– الَّذي يشرحُ الصَّدْرَ لا غيرَه؛ فالسعادةُ مخلوقٌ من مخلوقاتِه، فاللهُ –جَلَّ وعَزَّ– خلقَ الأَعيانَ

---

(١) انظر: نظم الدرر ٢٢ / ١١٦.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ٥٥٤/٦.

(٣) التحرير والتنوير ٣٦٣/٣٠.

(٤) تفسير ابن سعدي: ٢٧٢.

(٥) المرجع السابق: ٥٠٤.

(٦) انظر: اللباب ٤٩٨/١٦.

وخلق المعانيَ، ومِن هذه المعاني: السَّعادةُ، فيضعُ هذا المخلوقَ في قلبِ مَن يشاء بفضلِه، ويَنْزِعُه مِن قَلْبِ مَن يشاءُ بعدلِه، ولا يظلمُ ربُّك أَحدًا(١).

المطلب الثاني: السعادة تكون في القلب.

عبر الله تعالى بقوله (صدرك) عن القلب الذي هو موضع السعادة الحقيقة، لأن القلب كالمنزل للنفس ويلزم عادة من فسح المنزل وتوسعته سرور النازل فيه، وكذا إذا تعلق بالصدر الذي هو محل القلب وربما يؤذن ذلك بسعة القلب(٢).

والسعادة تكون في القلب، وذلك في قول الله تعالى: {لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح من الآية: ١]، فالصدر يكنى به عن القلب كما قال الله تعالى: {وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦] فهو توكيد، لأنه قد علم أن القلب لا يكون إلا في الصدور، ولكن أكده به(٣).

والقلب هو محل نظر الربِّ تبارك وتعالى ولا يملكه إلا هو سبحانه، وإذا صلح هذا القلب وانشرح صلحت سائر الأعضاء وظهر الانشراح والسعادة والراحة على الجوارح كما قال النبي ﷺ "...أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ"(٤).

المطلب الثالث: مغفرة الذنوب.

يمتن الله على نبيه ﷺ بقوله: (ووضعنا عنك وزرك) أي: ذنبك، (الذي أنقض) أي: أثقل (ظهرك) كما قال تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) [الفتح: ٢](٥).

وهذه منة من المنن على رسوله ونعمة من النعم التي أُمر أن يتحدث بها رسول الله ﷺ وهي أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ لأن الذنوب تسبب الضيق والحرج، بدليل (أنقض ظهرك)، وبدليل قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا..) [طه: ١٢٥] أي: له الضنك بالنكد الشاق من العيش أو المنازل(٦).

ووصفت ذنوب الأنبياء عليهم السلام بالثقل وهي صغائر مغفورة لهمِّهِم بها وتحسرهم عليها(٧).

---

(١) انظر: مقال الدكتور عبدالمحسن المطيري على الشبكة العنكبوتية.

(٢) انظر: روح المعاني ١٧/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الهداية لمكي ٤٩٠٩/٩ ،مقال الدكتور عبدالمحسن المطيري على الشبكة العنكبوتية.

(٤) رواه مسلم في صحيحه حديث رقم (١٥٩٩).

(٥) انظر: تفسير ابن سعدي ٩٢٩.

(٦) انظر: في معنى آية سورة طه: المحرر الوجيز ١٠/ ١٠٦.

(٧) انظر: المحرر الوجيز ٤٩٧/١٥.

والظهر هو محل الحمل (ظهرك) فإذا كان هناك حمل يتعب الظهر فإتعاب غيره من باب أولى، لأن أقوى عضو في أعضائك للحمل هو الظهر(١).

ومن هدايات الآية: أن الله وضع ذنوب نبيه وأسقطها وأبطلها وحطها حطا لا رجعة له ولا فيه بوجه، وذلك بما له من العظمة والكبرياء سبحانه(٢).

ومن هدايات الآية: أن الإنسان تثقله ذنوبه ومعاصيه ويتعبه حملها كما أخبر الله تعالى، فإذا غُفرت زال ذلك الحمل الثقيل من على الظهر فشعر براحة في قلبه ونفسه، وعندها يجد السعادة التي يبحث عنها.

ومن هدايات الآية: أن الذنوب تسبب النكد والضيق فيلزم من مغفرتها حصول السعادة في القلب وذلك أصل من أصول السعادة.

المطلب الرابع: رفع الذكر الحسن.

(ورفعنا لك ذكرك) [الشرح: ٤] أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله مُحَمَّد ﷺ(٣)، وزاد (لَكَ) مع أن المعنى مستقل دون ذلك، ليكون إبهاماً قبل إيضاح فيفيد المبالغة، وليدل على الاعتناء به صلى الله عليه وسلم والاهتمام بأمره(٤).

ورفع الذكر نعمة على الرسول ﷺ، وكذلك هو جميل حسن للقائمين بأمور الناس(٥)، حيث إنه يستجلب دعاء الناس له بالخير والثناء الحسن فيكون أصلا من أصول السعادة.

ومن هداية الآية: أن رفعة ذكر الرسول عليه السلام تتلاشي عندها رفعة غيره من الخلق(٦)، ومن عظيم رفع ذكره عليه السلام أن اسمه مقترن باسم الله تعالى في كلمة الإسلام وهي كلمة الشهادة(٧).

---

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٢٤٤.

(٢) انظر: نظم الدرر ١١٧/٢٢.

(٣) انظر: تفسير ابن سعدي ٩٢٩.

(٤) انظر: التسهيل لابن جزي ١٧٢٨/٤ ،وتفسير البيضاوي ٣٢١/٥.

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٤٩٨/١٥.

(٦) انظر: نظم الدرر ١٢٠/٢٢.

(٧) انظر: التحرير والتنوير ٣٦٤/٣٠.

ونستفيد من قوله سبحانه {وَرَفَعْنَا} أن الذكر الحسن يوهب ولا يطلب، لذلك لا ينفع التصنع فيه بل الإخلاص لله ﷻ وحده(١).

ورفع الذكر الحسن إنما يأت من محبة الله لعبده كما في الحديث الصحيح: " إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض..."(٢).

ومما يدل على أن رفع الذكر الحسن من السعادة، ماجاء في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ "(٣).

فارفع لنفسك بعدَ موتكَ ذكرها:: فالذكرُ للإنسان عُمرٌ ثاني(٤)

المطلب الخامس: اليسر يخلق مع العسر.

(فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا) [الشرح: ٥] بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: (سيجعل الله بعد عسر يسرا) [الطلاق: ٧] وكما قال النبي ﷺ: " وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا "(٥).

وفي الآية تقرير لما قبله، ووعده كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه، قيل: خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسرا كثيرا، وفي كلمته (مع) إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر، وليدل على قرب اليسر من العسر(٦).

من هداية الآية: أن اليسر نقيض العسر فتكون مصاحبة اليسر للعسر مقتضية نقض تأثير العسر ومبطلة لعمله(٧).

---

(١) انظر: مقال الدكتور عبدالمحسن المطيري على الشبكة العنكبوتية.

(٢) رواه مسلم ، حديث رقم (٤٩٠١).

(٣) رواه مسلم ، حديث (٤٩٠٩).

(٤) ديوان أحمد شوقي: ٥٢٩.

(٥) تفسير ابن سعدي: ٩٢٩ ، والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، حديث رقم (١١٢٤٣).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ٦/ ٥٤٤ ، والتسهيل لابن جزي ٤٩٣/٢.

(٧) التحرير والتنوير ٣٦٤/٣٠.

ومن هداية هذه الآية: أن المسلم يوقن بفرج الله له وقت الكروب والشدائد ؛ فإن اليسر خلق مع العسر فلن يدوم العسر أبدا، ولن يتخلف اليسر عن اللحاق بتلك المصاعب(١).

المطلب السادس: كل عسر معه يسران.

(إن مع العسر يسرا) [الشرح: ٦] تعريف " العسر " في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير " اليسر " يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين، وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر –وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ– فإنه في آخره التيسير ملازم له(٢).

والتكرير مبالغة وتبيينا للخير وللتأكيد أو عدةٌ مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر ولن يغلب عسر يسرين فإن المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً، وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فردٌ مغايرٌ لما أريد بالأول(٣).

ومن هداية الآية: أن يعلم المسلم أنه إذا تعسرت أموره فأن العسر واحد واليسر اثنان، وليستحضر هذا الأمر في عقله، فإنها تجلب له السعادة ؛ لأن فيها وعد من الله بالتيسير، بل في التأكيد تحقيق اطراد هذا الوعد وتعميمه، لأنه خبر عجيب(٤)، وفي الحديث (لن يغلب عسر يسرين)(٥). (ولو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه)(٦).

ومن هداية الآية: تقديم الرجاء على الخوف(٧).

ومن هداية الآية: أنه عندما يعرف المرء أن الله سبحانه ما جعل عسرًا بلا يسر، ولا مشكلة بلا حل، ولا هما بلا مخرج، ولا ضيقًا بلا فرج، فإن هذا يذهب عنه أكثر الهم، فهو يوقن أن هناك حلاً، ولكن المطلوب منه هو البحث عنه فقط(٨).

ومن هداية الآية: أن المسلم مأمور بأن يدعو الله تعالى بتيسير أموره لأنه ليس بعد العسر إلا اليسر، وفي الحديث (ويسر الهدى إليَّ)(١).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٤.

(٢) انظر: ابن سعدي: ٩٢٩. لابن عاشور مذهب آخر في هذه الآية. انظر: التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٦.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ٦/٥٥٦ ، المحرر الوجيز ١٥/ ٤٩٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٧.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٥/٣٥٩١ ، والحاكم في المستدرك (٢/٥٢٨) مرسلا عن الحسن.

(٦) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، حديث (٩٩٧٧).

(٧) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيد ٢/٣٠٣.

(٨) مقال الدكتور عبدالمحسن المطيري على الشبكة العنكبوتية.

المطلب السابع: استثمار الفراغ.

(فإذا فرغت فانصب) [الشرح: ٧] إذا فرغت –يامُحَمَّد–من أمر فاجتهد في آخر، فإذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء. وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك(٢). وهذا التعب إنما هو شكرا لله تعالى على ما أوليناك – يامُحَمَّد – من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة(٣).

من هداية الآية: الاهتمام بتعليق العمل بوقت الفراغ من غيره لتتعاقب الأعمال حيث قدم (فإذا فرغت) على (فانصب)(٤).

من هداية الآية: أن الآية من جوامع الكلم القرآنية لما احتوت عليه من كثرة المعاني(٥).

ومن هداية الآية: أن المسلم إذا أتم عملا من الأعمال فليقبل على عمل آخر بحيث يعمر أوقاته كلها بالأعمال العظيمة(٦).

ومن هداية الآية: أن المسلم يستفيد من فراغه فيما يقربه إلى الله تعالى بالذكر وقراءة القرآن وغيرها من الأعمال الكثيرة الصالحة، وهذا الاستثمار للفراغ أصل من أصول السعادة. فالفراغ نعمة عظيمة قال عنها ﷺ (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)(٧).فإذا استثمر هذا الفراغ فيما ينفعه فسيكون سعيدا.

من هداية الآية: أن قعود المرء فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة(٨).

ومن هداية الآية: أن العبادة تحتاج إلى مجاهدة للنفس (فانصب).

ومن هداية الآية: أن النصب في طاعة الله هي من باب شكر نعم الله على عبده.

المطلب الثامن: العبادة.

---

(١) رواه الترمذي ، حديث (٣٥٥١).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٩٣.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز ٦/٥٥.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٨.

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٨.

(٦) التحرير والتنوير ٣٠/٣٦٨.

(٧) رواه الترمذي ، حديث (٢٣٠٤).

(٨) الكشاف ٤/٧٦١.

(وإلى ربك فارغب) [الشرح: ٨]. أي: اجعل رغبتك إلى الله تعالى، وأعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عبادتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره(١).

من هداية الآية: أن تقديم إلى (ربك) على (فارغب) لإفادة الاختصاص، أي: إليه لا إلى غيره تكون رغبتك(٢)، فهو سبحانه من يقضي الحوائج وييسر الأمور.

ومن هداية الآية: أن الأقبال على العبادة يدل على رغبة العبد الصادقة فيما عند الله.

ومن هداية الآية: أن الإخلاص سبب من أسباب حصول السعادة للعبد، حيث توجه إلى الله لا إلى غيره.

ومن هداية الآية: أن الرغب إلى الله شعار العبد المسلم دائما في كل حال وعلى كل حال(٣).

قلت: ذكر البقاعي: أنها أشارت للنبي ﷺ إلى الاجتهاد في العبادة بعد الفراغ من الجهاد وغيره، وفي هذا إشارة إلى قرب الأجل للرسول ﷺ مثل ما أشارت إليه سورة النصر(٤).

قلت: الإشارة فيها إلى قرب أجل النبي ﷺ فيه بُعد ؛ لأن السورة مكية، وسورة النصر نزلت بالمدينة بعد أن الفتح الله واكتمال أمر الدعوة ودخول الناس في دين الله أفواجا.

الخاتمة

فقد يسر الله أن نتناول تفسير سورة الشرح بالإيجاز والاختصار، والبحث عن بعض أسرارها وما فيها من لطائف وهدايات، فكان منها:

النتائج:

(١) أن سورة الشرح مبينة ومتممة للنعم على النبي ﷺ.

(٢) أن شرح الصدر إنما يكون من الله تعالى.

(٣) من السعادة الحقيقية للمسلم انشراح صدره ومغفرة ذنوبه وحسن الثناء من الناس.

(٤) أن على المسلم أن يوقن بفرج الله تعالى وأن مع العسر يسرا.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٣٤١/٥ ، وتفسير ابن سعدي: ٩٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ٣٦٩/٣٠.

(٣) انظر: نظم الدرر ١٢٨/٢٢.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) أن على المسلم أن يشغل نفسه بما ينفعه في أمور دينه ودنياه، وأن استثمار الفراغ نعمة وسعادة للمسلم.

(٦) على المسلم أن يرغب فيما عند الله وأن يتوجه إليه دائما في كل أموره، ليحصل على الراحة والسعادة التي ينشدها.

(٧) على كل مسلم أن يوقن حقيقة أن طريق السعادة إنما هي في اتباع القرآن الكريم والعمل بما فيه.

التوصيات:

(١) السعي الحثيث من أهل العلم وطلابه إلى ربط الناس بكتاب الله تعالى بجميع الوسائل الشرعية المتاحة.

(٢) على الباحثين وطلاب العلم العكوف على كتاب الله لبيان مافيه من أسرار صحيحة وهدايات واضحة.

(٣) تفعيل هدايات القرآن الكريم في الأمة ونشرها للعمل بها بكل الوسائل المتاحة.

وفي الختام، نسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف برواية حفص.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) أسماء سور القرآن، د. مُحَمَّد بن عبد الرحمن الشايع، دار كنوز أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: د. سعيد الفلاح، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٥) البيان في عد آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م.

(٦) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم اليونسي، إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة.

(٨) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: د. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١١) جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن مُحَمَّد السخاوي، تحقيق: د. علي حسن البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: مُحَمَّد الأحمد وآخر، دار أحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١٣) سنن الترمذي، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٤) صحيح البخاري، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٥) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ضبط: مُحَمَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(١٧) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت: فؤاد سزكين، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(١٩) المختصر في التفسير، إصدار مركز تفسير للدراسات القرآنية، طبع مؤسسة الشيخ عبدالله بن زيد بن غنيم الخيرية.

(٢٠) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢٢) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

(٢٣) المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء - الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

(٢٤) مفاتيح الغيب، لفخر الدين مُحَمَّد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٢٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، طبع دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

المحتويات

المقدمة ٢
المبحث الأول: بين يدئ سورة الشرح، وفيه مطالب: ٣
المطلب الأول: اسم السورة. ٣
المطلب الثالث: مكان نزول السورة، وعدد آياتها. ٤
المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها. ٤
المطلب الخامس: مناسبة السورة لما بعدها. ٤
المطلب السادس: مناسبة آخر السورة لأولها. ٥
المبحث الثاني: أصول السعادة. ٥
المطلب الأول: السعادة من الله. ٥
المطلب الثاني: السعادة تكون في القلب..... ٧
المطلب الثالث: مغفرة الذنوب..... ٧
المطلب الرابع: رفع الذكر الحسن. ٨
المطلب الخامس: اليسر يخلق مع العسر. ٩
المطلب السادس: كل عسر معه يسران..... ١٠
المطلب السابع: استثمار الفراغ. ١١
الخاتمة..... ١٢

النتائج: ١٢
التوصيات: ١٣
المصادر والمراجع.....١٣
المحتويات ١٥